**سكان ديستوبيا**  
  
و قد حضر بيننا اليوم شيطانًا، أحمر البشرة، سقيم اللسان، يحمل معه في تجواله نظرة من كُحل أسود صحب دكانة بؤر عينه الميت حولًا، فلا تلحظ منه نظرة إلا وبائت بسوء .. ولا ترى منه طفرة إلا وبائت بالحُسن!  
  
شيطان اليوم يُدعى ضرغام، أما بك والحكم عليه بعد! فهو ليس شيطانًا كسائرهم، أم أن ضرغام هو شيطان ناقم على حياة الشياطين!

شيطان يحمل إسمًا ولونًا لا يعبران عنه .. شيطان يحمل سواد عيون قلب أبيض  
  
أوقد ظننته كسائرهم؟  
قصتنا اليوم ليست عن أي شيطان عادي  
وليست قصة صعود، أو قصة حب  
اليوم أحكي لكم عن قصة الشيطان البائس  
ضِرْغَامُ بُنَّيْ الْحُمُرِ.  
  
  
....

رمقت عينه اليسرى متعبةَ، باحثة يمناه عن ضوءٍ متسلل داخل أرجاء جدرانه الأربعة  
منظرُ غير مبهج إلى العينين إلي حدٍ ما، ترددت الأفكار بداخل رأسه الغير متيقظ إلي الواقع كليًا بعد، جدران  
تحمل اللون القاتم، والذي بالنسبة له، اللون الأكثر مقتًا، لم يدري إن كان ذلك بسبب كرهه لتلك الحجرة  
والذي لم يفكر حتى بتسميتها بغرفة، أو إن كان ذلك لبغضه إتجاه اللون التي تحمله بشرته.  
  
ناظرًا إلي الضوء الخافت المتسلل، لقد صحو مبكرَا ليوم أخر، وإن كان بسبب كوابيسه المحسوسة   
لكنه وافق أن الإستيقاظ مبكرَا صحي أكثر، أو على الأقل لكان كذلك في مكان اخر، بعيد، بعيد جدًا.  
  
تنصت أذناه – غير متعمدة البتة - إلي بعض الضوضاء الصادرة من خارج جدرانه الأربعة، الذي وإن لم يكن يحبها، فكانت  
المفضلة الآمن لديه.  
  
اختلست عيناه إلى ما لا يرغب أي شخص بعقل مُفكر رؤيته بأي صباح، مسمى باسم صباح مبهج في أي مكان آخر  
إلا أن رفيقنا، بعينيه المتعبتين، وبشرته التي تميل إلي الحمرة، ليس شيئا مميزًا، فهكذا لون بشرة بني النار.

سوء العالم وعابثوا الكوكب..  
سكان ديستوبيا..  
المخاليق الحُمر..  
  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

صحوت صباحَا تمنى غيري رؤية طوفان روح الآخر حول الدمس به  
  
 وإن كان مهجي غير فرح بما صحو عليه فغيري ملتهب حرقًا له  
  
وإن قدرت لصرخ قلبي بما داخلي من خيبة َ إلا أن ما باليد السارقة الخاطفة حيلة  
  
كنت فردًا من قومٍ لن يسمعوني وإن أبيت كان عقلي لفي راحة أن عكست الافعال المباحة  
  
أم إن كان يومي هذا الأخير أما إني أقسم بحق الحق لهذا العالم من عبث ليضعني بين غرباء كخليلهم  
  
وإن سرق دورًا أو قصرًا و إن كان طفلًا لما كان الغير ليمد العون وكأننا نقع في عمق من حثالة و خيبة أمل الكون  
  
فكان السباب بالفخر وكان الكبرياء زعيمهم أما أنا فعشت دورًا كدور قرينهم   
  
أنا ضرغام بن الدم الحار الأحمر وإن كانت ما تجري بعروقهم دماءً تتحرق ألمًا للغير

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

صرخ صديقنا الشاعر الهاوي بعقله بما كان يشعر به، حول شعبه الساكن أراضي ديستوبيا، الذي كان بالنسبة له الألم فرحًا، والجرم عبثًا وفخرًا، والقتل ما هو سوى متعة، والسرقة هي حاجة ماسة.  
  
كان ضرغام، وقد كان هذا اسمه، يعيش كفرد من قوم لا يفهمون و وإن كان رد فعلهم سيختلف لكان قد أخبرهم بما يدور بأرجاء جمجمته، ولكان هذا ليضعه في راحة.   
  
يعترف ضرغام أنه أحد سكان ديستوبيا، الشعب الذي لقب سُكانه بأصحاب الدماء الحارة الحمراء، ويظن أنها إن كانت حارة وشعرت بالألم الذي يشعر به بحياته بتلك الارض.. لكانوا جميعا أصبحوا مثله.   
  
قام ضرغام من على مخلد نومه، تنهد تنهيدة بقت لمدة طويلة، وقد كانت طويلة له لرغبته بأن ينتهي هذا اليوم بأسرع وقت، كما رغب أن ينتهي ما سبقه وما سبقه.  
  
مضى نهاره كما بقى يمضيه منذ عشر سنوات كاملة، لم ينطق كثيرًا، حاول تجاهل الضجة من حوله و لم يرد النظر حوله كثيرًا..  
و قد كان والدا ضرغام، وإن كانا لطيفان في عالمهم، إلا إنهما لم يكونا سوى كابوسًا حيًا لضرغام لتذكيره بكيف وأين يعيش،  
... لكن، أيعيش شيطان في التاسعة والعشرين مع والداه؟  
  
مقت ضرغام كل شيء حول ديستوبيا.  
  
كسر صمته - الذي بداخل رأسه كان صراعًا ملحميًا بينه وبين نفسه - صوت والدته سائلة عن إن كان يملك خططًا لليوم، غريب إلي حد ما .. مضت عشر سنوات لم يخرج من شقته فيهم لمرة واحدة ..  
لما تزعج نفسها بالسؤال؟  
  
رد عليها بملله المعتاد بعدم ظنه أن هناك ما قد يفعله لا يشمل القيام بكل سيئات الحي.  
  
تذمذمت وذكرته أنه إن لم يفعل شيئًا الآن .. قد لا يفعل شيئًا أبدًا.  
  
إن لم يفعل شيئًا الآن، قد لا يفعل شيئًا أبدًا.  
  
قد لا يفعل شيئًا أبدًا.  
  
ظلت تلك الكلمات عالقة بذهن ذي الدم البارد - الوحيد على الأرجح - بين قومه، التي أبقيته مستيقظًا فيما بعد منتصف الليل، وقد كان الوقت الأسوأ باليوم لكثرة الأشخاص بالخارج.  
  
لم يقدر ضرغام على النوم، إنما قرر الذهاب لزيارة قصيرة لأحد معارفه، وإن لم يكن أوفاهم  
. لأول مرة منذ عشر سنوات..  
ارتدى معطفه الأسود الطويل .. تنهد، ناظرًا إلي مقبض باب شقته .. تعرق جبينه، راحة يده، وبدأ بالإرتجاف.  
إنه ليس بأمر كبير.  
أنت فقط ستذهب إلي هذا العالم .. بنفسك .. بإرادتك ..  
إن لم تفعل شيئًا الآن ..  
قد لا تفعل شيئًا أبدًا .  
شعره الأسود الطويل المبعثر الذي يستعمله لكي يغطي على قرونه بدأ يظهر عليه البلل من التعرق ..  
تنهد مرة أخرى ..  
ممسكًا بمقبض الباب، أقبض عليه بيده، الإرتجاف توقف.  
هو يعلم الأن .  
لا يوجد حل آخر سوى مواجهة ما هرب منه منذ عشر سنوات..  
يا ترى .. كيف سيعاملني ركيك بعد كل هذا الوقت؟  
فتح باب شقته، وغادر، أغلقه خلفه ..  
بهذه البساطة، فعل ضرغام ما لم يقدر على فعله مسبقًا .  
عقد كامل من الإختباء والهروب .. انتهى اليوم.  
ترك شقته فارغة، حيطان قاتمة اللون حمراء ..  
غرفة واحدة .  
سرير واحد .  
فوضى و ظاهر عدم الإهتمام بالمكان ..  
لكن .. أين والداه؟  
صحيح، أي شيطان في أوائل الثلاثينيات سيعيش مع والديه؟  
لقد تُرك منذما كان طفلًا .. لكنه لا يتذكر ذلك.  
فنسجهم من وحي خياله، فمهما كان يبدو ضرغامًا لا اكتراثيًا ..  
لم يقدر على العيش وحده.  
آه يا ضرغام ..  
  
  
\_\_\_  
  
" ضرغام؟ وما الذي يفعله رفيقي المأساوي هنا بتلك الساعة ؟ .. بعد عشر سنوات؟ "  
  
وقد كان ضرغام يقف عند مدخل إحدى الحانات ملتقيًا بأحد اصدقائه، شخص استطاع ضرغام الشعور بالإرتياح حوله إلي حد ما.   
  
" أنت تعلم أني لست هنا للعبث يا ركيك "  
ضحك ركيك مومئًا بالموافقة

" اذًا، ما الأمر المهم ؟ "  
  
وقد أخذ ركيك مقعدًا بالفعل، وطلب كأسان من النبيذ و أشار إلي ضرغام بالجلوس  
بدأ ضرغام بتلاوة ما بداخل عقله، وإن كان يبدو جنونيًا فكان ركيك دومًا مستمعًا جيدًا  
  
و بالرغم من ذلك، لم يكن ضرغام جيدًا بالتعبير بالكلمات.  
  
  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

أستيقظ كل يوم برغبة ملحة من داخلي بالبقاء مغمضًا  
وقد كنت من داخلي لهذا العالم باغضًا  
كنت أيمن بعالم أعسر  
تركت تقاليدكم و كل ما عرفتوه واتجهت لشيء بداخلي  
سموت بعقلي وفكري لكني لم أجد بذلك ما يفكني  
عن ما كان يضايقني، كنت اشعر بالوحدة، القلق  
لكني لم أرغب بالاختلاط بأيًا منكم وإن كنتم تخافون علي من العًلُق  
لفهمتم كيف كان مايدور بداخل ذهني، حالمًا بعالم لا أنتمي إليه  
وتنتابني كوابيس عن عالم أنا منه.  
وهنا أدركت أن فعلي إن لم يؤثر فيجب أن يقال الحق.  
  
.. إنتهى الفصل الأول.  
  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

مختلف عن بقية الليالي، تلك الليلة تعكسني بدلًا من أن يرشد ضوئها قلبي إلي ميناء يرسو به، فهو يفقده في بحر هدمت فنارته  
سهوُا عن غيري، لاحقني القمر ليلًا، وأنا بدوري كمغفل عن طبيعة ما حولي، ظننته يحبني!  
كانت عيناي تحب التركيز في الظلمة كي تبدأ ترى العتمة، لكني أقسم قسمًا أني كنت أرى شيئًا ما يجول طوفًا في العتمة، وإن سهوت لمرة عن التحديق .. لأختفي.  
وسهوًا عن غيري ظننت أنني ملاحق، لم أعرف أن تلك تنتمي إلي كتاب أوهام عقلي لتعظيم شخصي..  
يا للمأساة، كم كنت شيطانًا لا أفرق عن غيري ظنًا!  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_  
  
 - ضرغام؟ ضرغام   
تثاقلت برأسي قبل أن أدرك .. أرمشت مشيرًا لصحوي  
- ركيك..  
 - أنت حقًا من النوع الممل ذو أحلام اليقظة، أليس كذلك! ..  
 - أليس الحلم شيء لطيف؟   
 - الحلم ؟ بحقك، أنت هو اللطيف..   
  
  
" واللطف غير مقبول هنا "  
لن أنكر أني توقعت سماع هذا، أنه ركيك على أية حال إنه مثلهم.. إنه منهم.. بالواقع، أنا فقط المختلف، لكن ما المشكلة؟ كيف بدأ هذا؟ أأكون متطرفًا وسط قومي إن شككت بفكرهم ! أم أتبع فكري وأكون خائنًا .. أم أسير خلفهم كصف من الدواجن الذي يذهب لحتفه بسيقانه القصيرة بنفسه عمدًا ..   
  
- بحقك يا ضرغام، لا تعطني تلك النظرة، أنت كنت أكثر الشياطين شيطانية في الصغر، ألا تتذكر حقًا ؟! أتذكر جيدا بدوري .. أتذكر " مساء " ؟ لقد كانت معجبة بك حينها يارجل، لا أصدق أنك أضعت مساء من بين يديك لأجل حبس نفسك بغرفتك!  
  
.. - أنا حقًا لست أمر بالفترة التي تتيح لي التحدث بهذا الشأن الآن يا ركيك  
  
- لست تمر بها؟! أنت لا تمر بأي شيء يا ضرغام، أنت ثابت في مكانك منذ تلك النقطة البيضاء بحياتك، ماذا حدث يا رجل! ماذا وقع بك ؟  
  
أنا بخير. -  
  
 - هذا هو مسقط المشكلة يا ضرغام ! أنت بخير، لكن هل أنت كذلك حقًا ؟ لقد حكمتَ على لونك بالبياض أما و هو أحمر يا ضرغام ! أنت كنت طفل الجحيم، الشيطان الأخبث بيننا، كان والداك فخوران بك جدًا، رأى بك الكل نظرة حمراء لمستقبل أسود، لكن حقًا يا ضرغام .. لا أظن أنك تنتمي لـــديستوبيا حقًا.   
  
لم أستطع ايقاف ركيك عن حديثه، لم أستطع مقاطعته، لم أستطع مجاراته .. لطالما رأى ركيك ما بداخلي، ربما يكون شيطانًا ملعونًا كالباقي هنا.. إلا أنه أقلهم شيطانية وأكثرهم خبثًا.   
  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_  
  
عشت ملعونًا كسائركم في صغري، رغم أني فكرت بغيري مخالفكم.   
رأيت القمر يرسل لي إشارات بسوء حاله لونه أحمر كلون بشرتي، كلون قومي  
بعدما كان يلمع متوهجًا بنقاوة الأبيض إلا أنه يتوهج بشيطانية الأحمر.  
أرمق له بحقد سواد عيناي الملعونتان بحمرة الجفن وما بالقمر نافعًا سوى بالتحديق إليّ .  
وكيف لا يفعل؟ أما بي أحاسبه وأنا أقطن في لوحة لا أنتمي لها لونًا ؟!  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_  
  
عبر ضرغام عن أساه، حيث كبَّر مُخالفُا لقومه، فكر بذوقه الخاص، طاف بعيدًا   
حتى بدأ يلوم القمر على تغيير لونه إلي الأحمر بعدما كان أبيضًا، فهو يمقت الأحمر!   
بدأ بمحاكمة القمر و توجيه الإتهامات له لتغيير لونه،   
أما به نفسه يُفضل لونًا لا ينتمي له!   
  
 - اخبرني يا ركيك .. في كل اللوحات الفنية يتناسق الأحمر مع الأبيض لونًا، لما هنا نمقت الأبيض ؟   
- لأننا لسنا فنًا يا ضرغام، أنت لست لوحة، وأنا لست فرشاة ما .. نحن في الجحيم يا ضرغام  
لقد أغلقت عيناك، و عِشت في عالم من نسيج خيالك وعندما استيقظت من حلمك..   
فوجئت أننا لم نكن نحلم معك.   
  
..  
  
إستأذن ضرغام -- والذي أزعج ركيك، ففي العادة لرحل أي شيطان دون إنذار ..   
  
  
 - آه يا ضرغام .. ماذا أفعل معك ؟ أأقتلك ؟ أم أحبسك في غرفة لأعذبك ؟ أسيرجعك هذا لصوابك ؟ أم أنه سيزيد من عصيانك أكثر ؟ هل تسألنا للموت ؟ أم تطلب مني الرأفة ؟  
و إن كان، فأنا يا ضرغام الشيطان الوحيد الذي قد يمدك بالرأفة .  
  
..  
  
أأنا مخطيء يا قمري ؟  
أما ليل لي من نهار ؟  
أبقيت رمادًا في حريق .. أم هل أنا هو البناية ؟ أأعيش لنفسي؟ أكان لوني مًقدرًا عليه الدماء ؟  
..  
تنهد ضرغامًا متثاقلًا، مشيته غير متناسقة .. عيناه مُتعبتان، لكنه لم يبذل أي مجهود يذكر .   
يُمكنك أن ترى هالاته السوداء التي لا تجعل مظهره الشيطاني أكثر لطفًا ..   
لكنه قد نام اليوم بأكمله .   
قد تشعر بأن أنفاسه تحمل تعبًا وصعوبة في التنفس أو المجاراة مع حركة جسده المُتخشبة ..   
لكنه لا يدخن .   
يبدو كأنه يشعر بالبرد ..   
لكنه يرتدي معطفًا .   
بإمكانك الإحساس بهالته السوداء .. عيناه الساقمة التي تسخطك رعبًا إن فكرت في التحديق إليها طويلًا .   
  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_  
  
اخبرني يا من تسكن قلبي، أروحي لازالت معك ؟  
أمهجي هناك أم هجرني ؟ ألا زال يتوهج لي ؟  
أما بي فاعلًا يا ساكن قلبي ؟  
أأركض وراء مُهجي يائسًا ؟ لكني لا أعرف الطيران !   
اخبرني، اخبرني يا ساكن قلبي ! ألا تملك نفسي لي حبًا ؟  
أتركتني روحي متعفنًا ظنًا منها أن القمر أبيض ؟  
آه يا ساكن قلبي أيتوهج القمر أبيضًا ؟  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_  
  
أكمل ضرغام العابس مشيه، أما بسيقانه تتحرك كأنه يحمل ثقلًا من ألف حجر على عاتق كتفه وحسب،   
عيناه تتجول في عالم أخر لا تطأه قدماه .. ألا به مصدومًا، فهو عالمه !   
تتحرك عيناه بمحاولة يائسة باحثة عما قد يريحها،   
أما بها تجد شيئا سوى العذاب ؟  
سرقة .. نهب ..   
بكاء و صراخ أطفال إلي ضحك كبار ..   
حريق مُتعمد، اعتداءات جسدية ..   
كل شيء مسموح به، كل شيء مُمكن .   
إنه محبب ..   
اللون الأحمر ..   
الدماء ..   
الطعن ..   
الألم ..   
  
إنه مُحبب ..   
  
إنه العاصي في أعينهم،

إذن لماذا لا ترى عيناه سوى سوء اللون الأحمر ؟!  
أهو ملعون بلعنة ما ؟ أما به يرى شيئًا لا يرونه ؟  
أم , أيرى غيره شيئا هو لا يراه .. ؟  
..  
ٌ×ٌ  
  
..  
إلا و إذ بعينا ضرغام تقعان على مشهدٍ، تمنى او كان خياله أو عقله يبالغ ليرعبه .. كما أصبح وجوده يرعبه !   
إلا أنه كان مخطئًا، إنه حقيقي  
ما يراه يحدث بالفعل   
رجل .. أم أقول شاب ؟  
شيطان في أواخر العشرينات، وقد كان اسمه سائل يمسك بسكين يلوح به أمام طفل شيطان، لا يتعدى الست سنوات ..   
لا أحد يتدخل، لا أحد يريد .. بل أنهم قد يشجعون هذا الحدث .   
إنها الحقيقة التي غابت عيون ضرغام عنها إلي أكثر من عشر سنوات،   
هذه هي ديستوبيا،   
هنا يعيش،   
أيسكت؟ أينظر إلي الأرض مطاطئًا و يُكمل مسيرته المأساوية؟  
أيبحث عن طريقة للسفر إلي القمر ؟  
لكن ..   
أليس القمر معتمًا حقًا ؟  
  
صحيح .. القمر مُعتم.   
إنه ليس أبيضًا، وليس احمر اللون..  
إنه كما نراه وحسب.   
  
لم يدرك ضرغامًا نفسه إلا وهو مُمسك بذراع الشيطان العشريني، أما به فاعل؟  
أيعصي رغبة قومه؟ أيترك ما عُلم عليه، أم أهو يطلب انتحارًا؟  
إنه غير مسلح، ليس ضرغام بمحترف قتال أيضًا ..   
أربما , هو يبحث عن طريقه للقمر ؟  
  
 - أنت .. هل الأطفال هم أقصى دماء قد تسفكها؟  
  
حدج به ضرغام مُتعاليًا، مهددًا   
كان ضرغام أطول من العشريني، بل و حمل عينان ساخطتان تُعلن عليك بالغضب و إن لم يحاول   
كان يُمسك ضرغام بساعده، و اشتد بمسكته على أوردته ليسد الدم في مكانه قليلًا ..   
  
نظر إليه العشريني في سخط و غضب، عيناه كانت ذهبيتان تلمعان .. أليس هذا هدر للون مثالي كهذا ؟  
أن يكون لشخص كهذا .. أليس الذهبي تكريمًا كبيرًا ؟  
قد يفعل ضرغام أي شيء كي يترك الأسود ..  
وهذا يملك الذهبي ولا يزال يلوح بسكينه إلي طفل لا حول له ولا قوة ؟!  
اشتد مقبض ضرغام على الرجل الذي بدوره صرخ فيه، قائلا :   
  
 - وما بك فاعلًا ؟! هل أنت بطل ما ؟  
  
بطل .. ؟  
وإن لم تكونوا على علم بعد ..   
بطل هي أحد أكبر الإهانات في ديستوبيا .   
  
 آه ... لا. -  
أنا لست بطلًا أبدًا .   
  
ولم يكن بمقدورة الشاب الرد إلا و بقبضة ضرغام كاملة تصنع حفرة في فكه -   
و مع ذلك، لا زالت تعابير ضرغام ميتة .. ميتة كأي وقت آخر.   
ربما ميتة أكثر من أي وقت آخر.   
لم يكتفي، بل شد العشريني من ذراعه الذي أحكم عليه مسبقًا، لكي يسد طريقه في العودة بساقه في معدة العشريني,   
  
. فإن كان مكتوبًا لي أن أعيش كشيطان .. فأنا أفضل أن أقتلك على أن اراك تقتل طفلًا -  
  
تأزم العشريني في مكانه، مطأطئًا رأسه الإي الأرض، مصدرًا رأسه إلي الأمام، متكئًا على يداه حاملًا مكان معدته من ألم رفسة رجل ضرغام، أما ضرغام فأخلاقيًا تركه يتنفس ..   
أو بالأصح، يلهث بحثًا عن أنفاسه .   
استغل ضرغام تلك الثوانِ المعدودة للتراجع خطوتين إلي الطفل المنشود   
  
. اذهب، لن يكون الأمر جيدًا إن بقيت هنا، قد يصيبك هذا الكابوس أكثر من اللازم -  
  
 - أذهب ؟! ومن أنت كي تآمرني بالذهاب ؟! كنت سأتدبر أمري أفضل مما قد يفعل أي شخص ! أظننتني انا " قعر " بحاجة إلي مساعدة منك ؟!  
  
كبرياء بني الحمر .. تفهم ضرغام الأمر، فهو أمر يتشاركونه جميعًا ..  
   
. إن لم تذهب، قد أضطر لفعل شيء أسوأ من القتل -  
  
تسمر الطفل مكانه خوفًا من رمقة ضرغام له.   
. قد أضطر إلي إنقاذك -  
  
..  
نعم.   
نعم، وماذا ظننتم ؟  
أوليس الأسوا من القتل هو الإنقاذ في ديستوبيا ؟  
الخطيئة الكبرى .. العصيان الساقط.   
  
..  
  
. - أنا .. لم أحتج إلي إنقاذك  
  
لانَ وجه ضرغام عند سماع كلمات الطفل، عنى ذلك استسلامه، و بدأ الطفل بالركض بعيدًا ..  
و قد لاحظ ضرغام وقوف الشاب العشريني أمامه مجددًا بتباطؤ بعدما استجمع أنفاسه.  
   
- وتقول أنك لست ببطل.  
  
كشر الشاب عن ابتسامة متعجرفة، حدد بها ما قد علمه عن ضرغام ..  
تنهد ضرغام متثاقلًا، كما بدأ بفك أزرار معطفه، و إزالته ببطء من على كتفيه .. ليكشر عن جلده الأحمر.  
بعض -- بل و قد أقول الكثير، من الخدوش والجروح مرتسمة على جسده كلما يكشف أكثر عنه، مرتديًا لباسه التحتي عديم الأكمة، أسود اللون كي يناسب شحابة وجهه و حدة عينيه ..  
  
- بلى.  
  
تغيرت تعابير الشاب من العجرفة إلي الاستغراب،   
  
 - ربما أنا بطل، من قد كان يظن ذلك ؟   
  
ضحك ضرغام قائلًا : - لربما تكون تلك أول مرة نرى بها ضحكة ضرغام,   
أوليست جميلة ؟ -

من الأفضل الاستمتاع بها قبل أن تذهب  
  
سخط الشاب ضرغام بنظرة منزعجة من كلماته، فأخرج سكينه و بدأ بتلويحه على ضرغام   
بشكل مفاجئ، كان ضرغام يتفادى تلك التلويحات بالتوقيت والمكان الصحيحين،   
تعابيره الجامدة لا تفارقه، بل فقط فحصت تحركات خصمه،   
  
لم تحتج إلي انقاذ يا قعر , هاه .. ؟  
أنا أعلم ذلك.   
أنا لم أكن انقذك،  
أنا كنت أنقذ نفسي،  
لقد قضيت حياتي كلها أنظر إلي أعلى القمر، حتى نسيت كيف يبدو الوضع هنا على الأرض..  
هنا في الجحيم..   
  
قطع ضرغام سلسلة تلويحات الشاب الفاشلة بـقبضته، كالسهم - توقف حركاته وهي تصنع طريقها في وجهه .   
  
بدأ الناس يتجمعون، إنه كعرض ترفيهي الأن .. الجميع ينظر ويترقب ويتشوق .   
و ضرغام يرمي لكمة أخرى، أدكت برأس سائل الأرض - كي يلتقي وجهه بركب ضرغام تحضن جبهة سائل،   
أولم يكن الأفضل ان يضربها في ذقنه ؟ حسنًا , ضرغام ليس الأفضل في التصويب حقًا، أما هو فقط ولد بجسد قوي..   
  
جسد قوي .. عقل شيطاني .. أفكار خبيثة .. أذكى بني جنسه و أطلقهم لسانًا. ..  
  
أين ذهب كل هذا؟  
لما نساه الجميع ؟  
لقد كان أمرًا كبيرًا عندما كان صغيرًا !   
  
أكثر الشياطين شيطانية ..   
ضرغام بن بني الحمر .   
  
حاول سائل أن يحصل على أفضلية بكونه مدكك قريبًا من الأرض بقطع ساق ضرغام بسكينه، إلا أن ضرغام قد لاحظ و استطاع أن يبعد ساقه قبل أن يكون الجرح ث٠غائرًا، لكنه قد جرح !   
  
..  
ليس بالشيء الكبير، ليس جرحًا مميزًا عن عشرات الجروح المرسومة على جسده الأحمر ..   
يكشد جلده كل خط مشوه وهو يتحرك، يرفس سائل في وجهه ليسقطه على ركبتيه،   
  
الناس يهتفون، الأصوات تصبح أعلى ... الناس سعيدون .   
  
وفي الحشد الجمهوري، لاحظ شخص نعرفه الأصوات ماذا يحدث في تلك الدائرة التي شكلها عشرات الشياطين .. وقد كان شيطانًا نحيلًا ذو شعرًا أشقر مصبوغ طالت جذوره، منسدل، وقد عُرف بأنه أكثر الشياطين خبثًا، و أقلهم شيطانية ..   
أعرفتوه ؟  
إنه ركيك .   
الذي ينظر بدهشة الآن على صديقه العاصي، ضرغام، يمسك بشعر شيطان يجثو على الأرض بركبتيه ..   
  
بسكين ملطخ بالدماء مرمي على بعد قليل منهم ..   
  
  
 - آه يا ضرغام ... ماذا فعلت ؟  
  
وفي وسط فرح الجميع.   
قلق الوحيد الذي يعرف من يكون ضرغام.   
  
..  
  
بينما أتبعت الحشد فتاة، لون شعرها بالبنفسجي المحروق بالأحمر .. جسدها متناسق، ترتدي ما قد يمكنك أن تقول بملابس كاشفة قليلًا، الدخان يخرج من فهمها كما تدهس على السيجار بقدمها  
أما كانت هي.   
تلك التي لطالما حلمت بضرغام.   
"مساء."  
  
 ... - ضرغام ؟  
 .... - أنت حي ؟  
  
عيناها الزرقاوتان لمعا على ذلك المشهد،   
  
سائل يحاول مد يده للوصول إلي سكينه .. لكن بلا جدوى، ضرغام مُقبض على شعره، سائل يجثو على ركبتيه ولا يقدر على الحركة حتى .. النيران، التي هي شيء طبيعي في شوارع ديستوبيا بدأت تبدو حمراء أكثر الأن ..   
أهي حمراء، أم هل الدم كثير ؟  
  
الناس يهتفون، وضرغام يحدق بسخط في عيني سائل  
  
. أظن أنني أعلم الآن لما استهدفت الأطفال -  
  
سخر ضرغام من موقف سائل، جاثيًا على ركبتيه لا حول ولا قوة له ..   
  
..  
  
أوليس هذا أكثر ما مقته ضرغام عن بني لونه ؟  
  
.. صُعق ضرغام بإدراكه لنفسه، حيث بدأت أذناه الصمان بسماع هتافات الجمهور الذي لم يلاحظها سوى الآن ..  
  
لقد كان غارقًا جدًا في غضبه، لم يلحظ ما قد صنعه حوله !  
  
  
- أوليس هذا ضرغام...؟  
.. - أتقصد الصبي الشيطاني الصغير ... ؟ لا أعلم .. ألم يمت ؟ لم أسمع عنه منذ سنوات عديدة جدًا  
.يا رجل، هذا الرجل قاسٍ، حتى بالنسبة لي -  
! هذا وحشي ... رائع -  
.. عندما أكبر، أريد ان أكون تمامًا مثل هذا الشخص -  
...  
  
لا..   
أنتم لم تفهموا..   
  
أنتم لا تفهمون ... أنا لست مثلكم ..   
  
لا تضمونني معكم ! لا تفعلوا ! أنا لا انتمي إليكم ! أنا لست..  
  
انقشع كل شيء أسود ومُبهم من حول ضرغام الآند إنه يرى المشهد .. يراه بشكل جيد جدًا..  
  
رجل مهمور بالكدمات و الجروح والدماء، يجثوا على ركبتيه طالبًا الرحمة..   
  
ضرغام، لا يرتدى إلا قميصه التحتي ... بجسده المجروح يقف وسط حشود من الناس الذين يهتفون له كي يقتل سائل ..  
  
توقفوا ! هذا خاطيء !   
  
بدأ يشعر ضرغام بالدوار وهو يلتف حول نفسه، ناظرًا إلي وجوه الجميع التي لم يستطع تمييز أي وجه واحد فيهم ...   
  
كلهم كانوا متشابهين في نظره، بشرتهم حمراء، كاشدين عن أنيابهم في ابتسامتهم  
  
لا تنظروا إليّ كأني عظيم ! أنا متعفن، أنا ضربت هذا الشخص ... أنا لست جيدًا ...   
  
أنفاس ضرغام تضيق أكثر، تعابير وجهه الخائفة تترسم أكثر بأكثر ..   
عرق وجهه بدأ بالوثب واضحًا،   
عيناه السوداء المرتعدان،   
  
قدماه التي بدأتا بالتثاقل كما ترنح معهما، كما لو أن وزن الألف حجر سقط مرة واحدة على عاتقيه !   
  
لا.   
أنا لست ضرغام الذي عرفتوه في صغري، أنا تخليت عن هذا الشخص منذ سنوات عدة...  
   
لقد قتلت نفسي في ليلة ما .  
لأسمح لنفسي الحالية بأن تُخلق..  
  
ترنح ضرغام مجددًا، مما جعل عينيه تقع على سائل وهو نائم على الأرض من الألم والتعب ...   
  
لما هذا المنظر مألوف .. ؟  
  
شخص آخر .   
شخص آخر غير سائل ..   
  
لا، أنا لست هذا الضرغام بعد الآن ! أنتم تخلطون بيني وبين شخص آخر !   
  
...  
أنا لست من تظنونه !   
  
أنفاس ضرغام أصبحت أصعب ...   
الحشد حوله من نظره أصبح أكبر، إنهم يحاصرونه ...   
  
كما لو كان ديكًا محارب في عرض سيرك ما.   
  
..  
  
  
لم يتحمل ضرغام .   
لم يتحمل نفسه , لم يتحمل شيئا ..   
وقبل ان يُدرك نفسه , قد كان صنع طريقه بين الحشود , يركض , يركض بعيدًا .. بعيدًا جدًا ..   
  
  
عيناه المرتعدتان الخائفتان , الملتبستان يفحصون المكان من حوله ..   
  
سرقة , نهب , ضرب , دماء ...   
نار.   
نار في كل مكان ...  
  
  
لا   
  
أبتعدوا عني!   
أبتعدوا .. انا لا أريد ان اكون هنا.   
أعيدوني الي غرفتي المقيتة , أسجنونني بمكان ما , ضعوني بغرفة بلا مخارج او شبابيك..   
لكن ليس هنا !   
ليس هنا ...  
  
...  
  
لما لا ترسلوني الي القمر ؟  
  
  
..  
تباطئت خطوات ضرغام تدريجيًا , حتى توقف في أحد الأزقة ذوات النهاية المغلقة ..   
  
نزل وجثى على ركبتيه , ليتكيء بوجهه على ركبتيه -- النيران ليست موجودة هنا , لا شيء.   
  
لا شيء سوى العتمة.   
.. كفى -  
.. أرجوكم -  
  
لكن في عقل ضرغام .. كان يوجد كل شيء بداخل العتمة.   
  
الكثير من الأصوات.   
الكثير منها...  
  
  
! طفل شيطاني -  
! عبقري -  
! متوحش -  
  
..  
  
بدأ يشعر بالألم الأن , فقد إنتهى مفعول الأدرينالين الذي سبق .. و بدأ يشعر بألم الجرح الذي أصيبه به بساقه.   
  
لكنه لم يُقارن ابدًا بألم الجرح الذي سببه لنفسه.   
  
قطرة  
قطرة  
  
إنها تمطر.   
  
و ضرغام لا يزال يجلس في نصف الزقاق بوجهه مغموس بين ركبتيه.   
  
  
لا يفكر بشيء..   
  
لكن كل شيء حوله,   
حتى بالمطر , النيران لم تفارق ضرغام.   
  
لم يستطع منع الأصوات , حتى وهو مغموس في الظلام..   
  
لم يستطع الإحساس.   
  
لم يرى شيئا سوى القمر...   
  
وقد كان أحمر.   
  
....  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_  
  
فقدت نفسي في تلك الفوضى يستحيل أن تبقى هنا شخصًا  
  
روحي لا تسكن قلبي بل وأنها هجرتني كاملًا !   
  
تخلت عني ! أولاحق لها ؟! أنا لا أبكي ..ام هل انا لا أعرف بسبب المطر ؟  
  
أما بي قادر على فعله ؟ أأعيش شيطانًا أحمر اللون ؟  
  
أتسائل , لما لونك أحمر ؟ أي لون تعكسه ؟  
  
لما نظرت إليك ؟ وإن كنت اعمًا , لا أرى نفسي !   
  
أروحي , أستعودين لي ؟ أروحي , أأنت موجودة ؟  
  
أروحي ... هل الحياة في القمر أفضل من هنا ؟  
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_  
...  
  
.. لا بد أنه أمر صعب -  
  
صوت أتى من خلف ضرغام , مما جعله يرمق له من جانبه .. لم يستطع الرؤية جيدًا بسبب الظلمة و المطر .. لكنه ميز الصوت , إنه ركيك --   
  
ركيك ممسكًا بسيجار , الا يستطيع الإنتظار لبعد المطر ؟  
  
 - صعب ؟  
  
ردد خلفه ضرغام,   
  
 أن تكون مختلفًا , لون بارد في لوحة كل ألوانها ساخنة ... -   
  
... هاه .. ليس لديك فكرة عن صعوبته -  
  
بالفعل, لا أفعل , و لا أتمنى أن افعل ولا أن اكون مكانك. -  
  
قال ركيك بصراحته المعتادة , مما جعل ضرغام يبتسم قليلًا.   
  
... حياتك مزرية , أسوأ الشياطين يتخلى عن مبادئه , يحبس نفسه عشر سنوات بلا فعل اي شيء -  
  
و ما اخر شيء تراه يفعله ؟ يضرب شخصًا ما حتى الموت في دائرة تشجيع..   
  
صارحه ركيك مجددًا , وهو يتخذ مجلسًا بجانب ضرغام على الأرض .  
  
 - المطر قد يطفيء تلك السيجار ..  
  
علق ضرغام بتذاكي وسخافة ,  
  
.. المطر قد يصيبك بالبرد , لكنك لا تجدني أتذمر -  
  
رد ركيك , معلقًا على ملابس ضرغام -- و أكمل بأطفاء السيجار في كتف ضرغام  
  
أصدر ضرغام صوتًا من الألم .  
   
 - ما كان ذلك ؟!  
  
. سبب لأعطيك هذا -  
  
رد ركيك وهو يعطي ضرغام معطفه التي أسقطه منذ قليل ..  
  
. - لا تريد أن يظن أحد ان سائل قد اطفأ سيجارًا بك , ستبدو ضعيفًا --- هيا , أرتدي معطفك   
  
أبتسم ضرغام مجددًا وهو يغطي ظهره بمعطفه.   
  
  
- مساء كانت هناك.  
  
 - حقًا ؟  
  
. نعم , وقد كانت جميلة كأي وقت مضى ... لكنها لاحظتك , ضرغام -  
  
. هذا كان من وقت مضى ... لا يُعقل أنها لا تزال تتذكرني -  
  
. ليس إن كنت قد رأيت تلك اللمعة في عينيها , أنا رأيتها -  
  
.. شيء قد لا تعرفوه عن ركيك , بالرغم من كونه شيطان , خبيث , سارق , و مدمن مخدرات ..  
  
إلا أن عيناه هي أحدّ عينان في الوجود بأكمله ,   
  
وليس من الصعب عليه ابدًا أن يعرف كل شيء عنك بنظرة ..   
  
ركيك يقرأ الأشخاص كما يقرأ المهوسوون الكتب,   
  
بفرق ان ركيك لا يحب الكتب,  
بل يحب الأشخاص.  
  
فالأشخاص معقدون.   
  
  
  
 - ركيك .. ماذا يجب أن افعل ؟  
  
. أنا لا أعرف , ضرغام -  
  
انا لا أعرف.  
  
. . .  
  
  
إنتهى الفصل .